روافد الاحتجاج للقراءات القرآنية دراسة تطبيقية في نماذج مختارة

Tributaries of the protest for Quranic readings: An applied study in selected models

دريم نور الدين*

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

n.drim@univ-chlef.dz

تاريخ الارسال2022/09/10 تاريخ القبول 2022/09/17 تاريخ النشر2022/09/23

ملخص:

إنّ الغاية من تعدد القراءات القرآنية، هو التيسير على أمة الإسلام، في الجانب النطقي، لتنوع اللهجات العربيّة، وبذلك تتمكّن كلّ جماعة لغوية من نطق القرآن في أيسر صورة كون هذه القراءات تمثيل لبعض آي القرآن في جوانبه الصوتية أو الصرفية أو النحوية، وقد اتّخذ علماء العربيّة، القرآن وقراءته الحجة الأولى لإثبات اللّغة وتقرير قواعدها، آخذين في الاعتبار، بأنّ القرآن أسمى وأعلى من قياساتهم النحوية، فنشأ عندهم ما اصطلحوا عليه بـ" الاحتجاج بالقراءات ولها "، فتنوّعت مادة الاحتجاج لديهم، وهذا المقال محاولة لبيان تلك المادة في جوانب تطبيقية مست بعض التوجيهات للقراءات.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، اللهجات، الصوتية، الصرفية، النحوية.

Abstract:

The purpose of the plurality of Qur'anic readings is to facilitate for the nation of Islam, in the pronunciation aspect, the diversity of Arabic dialects, and thus every linguistic group is able to pronounce the Qur'an in the easiest way that these readings are a representation of some of the verses of the Qur'an in its phonetic, morphological or grammatical aspects.

Arabic scholars, the Qur'an and its reading are the first argument to prove the language and establish its rules, bearing in mind that the Qur'an is higher and higher than their grammatical measurements, so what they termed as "the invocation of the readings and theirs" arose. I touched some directions for readings.

Keywords: Quranic readings, dialects, phonetic, morphological, grammatical.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إنّ النص القرآني هو أعلى النصوص العربيّة فصاحة وبلاغة، وأقواها من حيث صحة السند، فهو يتفرّد عن النصوص العربيّة الأخرى، كونه وصل إلينا مرويا عن طريق السماع، شيخا عن شيخ يبلغون به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن جبريل – عليه السلام – عن ربّ العالمين.

ولذلك جعله علماء العربيّة، الحجة الأولى لإثبات اللّغة وتقرير قواعدها، آخذين في الاعتبار، بأنّ القرآن أسمى وأعلى من قياساتهم النحوية، فنشأ عندهم ما اصطلحوا عليه بـ" الاحتجاج بالقراءات ولها " .

وهذا النوع من الدراسة لدى علماء العربيّة لم يكن وليد القرن الرابع الهجري كما قد يتبادر إلى الذهن بالنظر إلى ظهور مؤلفاته، وأنّ رجاله المؤسسين جميعا أو أكثرهم على الأقل عاشوا فيه، بل نجد إرهاصاته الأولى في كتب النحويين الأوائل و مجالسهم و أماليهم، وهذا النوع من الدراسة ليس بغريب على العربيّة؛ لأنّ المتعارف عليه هو أنّ الدرس اللغوي العربي بمختلف فروعه، ارتبطت نشأته ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم لغاية واحدة هي صونه والحفاظ عليه من اللحن، والتبيين عن وجه ما يخفى وجهه، بالتنظير له من كلام العرب بشقيه الشعري والنثري.

تنوّعت روافد الاحتجاج للقراءات القرآنية في كتب الاحتجاج لها، فلم يقتصر مؤلفوها على الجانب اللّغوي فقط، بل تعدّوه إلى جوانب أخرى اعتمدوها في احتجاجاتهم ومنها: القرآن الكريم، والقراءات الشّاذة، ورسم المصحف، واتّفاق جماعة القرّاء، والتفسير، والآثار والرواية والسند، وأسباب النّزول، وكلام العرب وأشعارها، ومقاييس العربيّة.

نسعى من خلال هذا المقال إلى بيان هذه الروافد وأهميتها في الاحتجاج، وذلك بدراسة تطبيقية في نماذج مختارة من كتب الاحتجاج للقراءات القرآنية، محاولين الإجابة عن الإشكالية الآتية: لماذا لم يقتصر علماء الاحتجاج على الروافد اللغوية لبيان أوجه القراءات، وتعدّوها إلى مواد أخرى ذات صلة بالقراءات؟.

نشير في هذا الموضع أننا قد استفدنا من كتاب الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، لعبد البديع النيرباني، حين أشار إلى هذه الفكرة بعنوان أنواع الاحتجاج.

2. مفهوم الاحتجاج

تعدّ إشكالية ضبط المصطلح أهمّ قضية يواجهها الباحث في مختلف ميادين البحث، ففي مجال الاحتجاج للقراءات القرآنية تعددت المصطلحات، ولكن دلالتها في معظم الأحيان تكاد تكون متحدّة، وإن تباينت في أحيان أخرى، ومن ذلك : "حجة القراءات "، و" وجوه القراءات "، و" معاني القراءات "، و"إعراب القراءات " و" علل القراءات "، فاجتمعت هذه الأسماء كلها تحت مصطلح " الاحتجاج " وهو الذي نراه أعمّها دلالة وأكثرها انتشاراً في محيط الدراسات اللغوية.

1.2.الاحتجاج لغة: الاحتجاج في اللّغة " افتعال من الحَجَّ، وهو القصد، والحجّة: الدليل والبرهان، وهي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، أو ما دُلَّ به على صحة الدعوى، والجمع حُجَج، و حِجَاج"[1]، و" إنما سميت حُجة؛ لأنها تُحجُّ، أي تُقصد لأنّ القصد لها وإليها "[2]، و" الحجة الكلام المستقيم، مأخوذ من مَحجَّة الطريق "[3]، و" الحجة ما دُلَّ بها على صحة الدعوى "[4]، ومن هنا كان الاحتجاج" إقامة الحجة "[5].

يتضح مما سبق أنّ الاحتجاج هو التماس الحجة ثم الإبانة عنها، فإيضاحها، والشيء الملاحظ هو أنّ معانيه اللغوية قد انحصرت في أصل واحد هو القصد.

2.2.الاحتجاج اصطلاحا: قدمت لنا مصادر هذا النوع من الدراسة مفهوما له، ويكفي أن تطالع منها عنوانا كـ " الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها " لمكي ابن أبي طالب (ت437هـ) أو " المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها " لابن جني (ت392هـ) لتقف على مفهومه، فهو علم يُعنى بالكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، وبيانها والإيضاح عنها.

وأمّا ما يستخلص من كتب الاحتجاج من معناه فهو " بيان وجه كل قارئ فيما اختاره من قراءة، وأكثر هذه الوجوه لغوية، ومنها ما ليس كذلك "[6].

ومن هنا جاء لفظ الاحتجاج، فقد انبرى العلماء المحتجون لتوضيح حججهم وبيانها، ولعلّ الداعي إلى سلوك هذا النهج هو بيان وجه اختيار القارئ للقراءة بهذا الوجه، والبرهنة على صحة القراءات الصحيحة، وردّاً على من يرتاب في صحتها، كما ساعد ذلك على بيان ثراء معاني القرآن العظيم، وتنوّع دلالاته الناجمة عن تنوع القراءات، وسمي هذا النوع من التأليف بـ " الاحتجاج "؛ لأنّ كل مؤلف حينما يعمد إلى بيان وجه القراءة يفتتح كلامه بـ " حجة من قرأ بكذا ".

3.روافد الاحتجاج في كتب الاحتجاج للقراءات القرآنية.

1.3. القرآن الكريم:

قد يتفق القرّاء في بعض القراءات وقد يختلفون في بعضها الآخر، فما كان من القراءات متفق عليه كان حجة للقراءات المختلف فيها بين القرّاء، ومن ذلك قوله تعالى: { **أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ** }[7]، ذكر ابن خالويه اختلاف القرّاء في قراءة لفظ " تأتهم " فمنهم من قرأها بالتاء وهم (أبو عمرو، ونافع، وحفص)، وقرأها الباقون بالياء ثم اختار قراءة من قرأ بالتاء مستشهدا بالقرآن، يقول " والاختيار التاء؛ لأنّ بعض القرآن يشهد لبعض وكان جماعة من الصحابة والتابعين يحتجون لبعض القرآن على بعض، قال تعالى: {**إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ**}[8]، فهذا شاهد " أو لم تأتهم "[9] .

ومن ذلك قوله تعالى: { **فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا** }[10]، ذكر ابن أبي مريم اختلاف القرّاء في " يخرجون "، فقد قرأها الكسائي وحمزة بفتح الياء وضم الراء؛ أي إنّه فعل مبني للمعلوم وقرأها

الباقون بضم الياء وفتح الراء؛ أي إنّه فعل مبني لما لم يسم فاعله، وبعد توجيهه للقراءة استدل على ما ذهب إليه بالقرآن، يقول " والوجه أنّ خروجهم لا يكون إلا بإخراج الله تعالى إيّاهم، فلفظ الإخراج أولى، فإنّهم لو تركوا لخرجوا، ويقوي هذه القراءة قوله تعالى:{**وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**}[11]، فبنى الفعل فيما عطف عليه للمفعول به، فينبغي أن يكون هذا أيضا كذلك ليتناسب الكلام "[12] .

ومن ذلك قوله تعالى: {**أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** }[13]، ذكر أبو علي اختلاف القرّاء في قراءة " يكون "، فقرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالتاء، وقرأها عاصم وحمزة والكسائي بالياء، ثم وجّه أبو علي القراءتين واستدل بالقرآن على قراءة من قرأ بالياء، يقول " وهذه الآية تدلّ على أنّ ما في قوله تعالى: {**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** }[14]، يقوي قول من قال " أن يكون لهم " بالياء[15]. والأمثلة كثيرة ومتعددة في كتب الاحتجاج استند فيها مؤلفوها على بيان وجه قراءة من القراءات بدليل من القرآن الكريم.

2.3.القراءات الشاذّة:

وهي كلّ قراءة اختل فيها شرط من شروط القراءة الصحيحة (صحة السند، وموافقة الرسم العثماني- أو رسم المصحف-، وموافقة العربيّة ولو بوجه)، من القراءات الشّاذّة التي احتج بها، قراءتا أبي بن كعب (ت21هـ) وعبد الله بن مسعود (ت32هـ) رضي الله عنهما، من ذلك قوله تعالى: {**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّه** }[16]، قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بجمع آية (آيات)، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي " آية " بالإفراد، قال أبو علي " حجة الجمع: أنّ في حرف أبي– بن كعب – زعموا " لَولاَ يَأتِينَا بِآيَاتٍ من رَبِّهِ "[17]، فاعتمد أبو علي في توجيهه لهذه القراءة على القراءة الشاذّة، وهي قراءة أبي بن كعب.

3.3.رسم المصحف :

من ذلك أيضا قوله تعالى:{ **إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ** }[18]، ذكر أبو علي اختلاف القرّاء في قراءة لفظ الصلاة إما بالمفرد أو الجمع، ثم عمد يوجّه القراءات ليستدل في آخر كلامه برسم المصاحف " وإذا اتجه الإفراد و الجمع في العربيّة ورجح أحد الوجهين الموافقة لخط المصحف كان ذلك ترجيحا يجعله أولى بالأخذ به"[19]. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: {**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ**}[20]، ذكر أبو علي في توجيه اختلافهم في هذه الآية قائلا : " وممّا يؤكد قول من قال " ألاّ " مثقلة، أنّها لو كانت مخفّفة ما كانت في " يسجدوا " ياء ؛ لأنّها اسجدوا، ففي ثبات الياء في " يسجدوا " في المصحف دلالة على التشديد، وأنّ المعنى" ألا يسجدوا " فانتصب الفعل بـ "أن "وثبتت ياء المضارعة في الفعل "[21]. فكان رسم المصحف دالا على وجه القراءة.

4.3.اتفاق القرّاء:

قد يحتج على بيان وجه قراءة من القراءات القرآنية باتفاق جماعة القراء، ومن ذلك قوله تعالى: {**حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**}[22]، وقوله تعالى: {**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**} [23]، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم " يَميز " بفتح الياء والتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي " يُميّز " بضم الياء والتشديد بعد توجيه أبي علي لهاتين القراءتين، استدل بإجماع القرّاء على إحداهما، يقول" وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا فكلتا القراءتين حسنة؛ لأنّ ماز فعل متعد إلى مفعول واحد، كما أنّ ميز كذلك ولقولهم ماز من المزية أنّ أكثر القرّاء عليها، وكثرة القراءة بها يدل على أنها أكثر في استعمالهم "[24] .

5.3.التفسير :

ومن ذلك قوله تعالى: {**وَإِنْ تَلْوُوا**}[25]، قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم والكسائي بواوين الأولى منهما مضمومة وبسكون اللاّم، وقرأها حمزة وابن عامر بواو واحدة وبضمّ اللاّم، قال أبو علي الفارسي " وحجة من قال " تلووا" (بسكون اللام) أنه قيل: إنّ ابن عباس فسّره بأنّه: القاضي يكون لَيُّه وإعراضه لأحد الخصمين على الآخر "[26]، فاستند أبو علي في توجيه القراءة إلى تفسير ابن عباس لهذه الآية.

ومن ذلك قوله تعالى: {**قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ**}[27] قرأها ابن كثير وحفص بتخفيف نون إنّ (إن)، وقرأها الباقون بتشديد نون إنّ، وأجمعوا على ثبوت ألف "هذان " إلا أبا عمرو فقرأها بالياء (هذين)، قال ابن خالويه " والحجة لمن شدّد النون في" إنّ " وأتى بألف في " هذان " أنّه احتج بخبر الضّحاك عن ابن عباس: أنّ الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب وهذه اللفظة بلغة " بلحارث بن كعب " خاصة لأنّهم يجعلون التثنية بالألف في كل وجه "[28]، فاستدل ابن خالويه حين وجّه القراءة بما روي عن ابن عباس ممّا سمعه من لغات العرب.

ومن ذلك قوله تعالى {**إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ**}[29]، قرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي " طَيف " بغير ألف وقرأها الباقون بالألف (طَائف)، قال الأزهري" المعنى في الطيف والطائف واحد والطيف له معنيان : أحدهما الجنون ... وقد جعله بعض المفسرين في هذا الموضع جنونا، المعنى : إذا مسهم غضب يخيّل إلى من رآه في تلك الحالة بعد ما كان رآه ساكنا أنّه مجنون "[30]، فبيّن الأزهري معنى القراءة بالاعتماد على تفسير لفظ الطيف كما رآه المفسرون.

6.3.الآثار (جمع أثر) .

وفيها يحتج إمّا بما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلّم – والصحابة وإمّا بالاعتماد على ما ورد في آثار المتقدمين، ليتّخذ حجة من أجل ترجيح لفظ أو معنى في قراءة من القراءات القرآنية.

ومن ذلك قوله تعالى:{**وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**}[31] قرأ ابن كثير و أبو عمر " من سبأ " بفتح الهمزة؛ أي إنّه ممنوع من الصرف مجرور بالفتحة النائبة عن الكسرة، وقرأ الباقون من سبإ بالتنوين؛ أي إنّه اسم أمكن فجُرّ بالكسرة، قال الأزهري وقد روينا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – حديثا ذكر فيه أن سبأ اسم رجل، حدثناه محمد بن إسحاق السعدي قال حدثنا إبراهيم بن مالك قال حدثنا أبو أسامة عن الحسن بن الحكم النخعيّ قال حدثنا أبو سبرة النخعيّ عن فروة بن مسيك (الغطيفي) قال أتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلت :يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم ؟ قال : بلى فأمرني وأردت أن أقاتلهم ثمّ بدا لي فقلت : يا رسول الله لا بل أهل سبأ، فإنّهم أشد مكيدة وأعمّ في أنفسهم فلما خرجت من عنده أنزل الله في سبأ ما أنزل فقال: ما فعل الغطيفي ؟ فوجدني قد سرت فأرسل في أثري فرددت، قال فأتيته وعنده ناس من أصحابه فقال: أدع القوم فمن أجابك فاقبل منه ومن أبى فلا تعجل حتى يأتيك أمري، فقال رجل من القوم : يا رسول الله، أخبرنا عن سبأ ما هو ؟ أرضٌ؟ قال : ليس بأرض، ولا امرأة، و لكنه رجل، وله عشيرة من العرب، فتيامن ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعرون والأزد ومذحج وحمير وأنمار، فقال رجل وما أنمار ؟ قال : الذين خثعم و بجيلة منهم "[32]، وهذا الحديث يدل على أن إجراء سبأ أصوب القراءتين وإسناد الحديث حسن[33] .

والأمثلة كثيرة ومتعددة، لا تسعنا هذه الصفحات لإحصائها جميعا، والملاحظ هو أنّ علماء الاحتجاج قد تتبعوا الروايات المتصلة السند بالنبي – صلى الله عليه و سلم – في بيان وجه القراءة أو ترجيح قراءة على أخرى.

7.3.الرواية و السند.

وفيه يحتج لبيان وجه القراءة بالقياس على النظائر و الأشباه مما روي عن علماء العربيّة، ومن ذلك قوله تعالى:{ **أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** }[34]، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو "آأنذرتهم " بهمزة طويلة، وأما عاصم والكسائي وحمزة وابن عامر فقرؤوا بهمزتين " ءأنذرتهم "، بعد أن حشد أبو علي أقوال العلماء وما روي في أشباه هذه اللفظة عمد إلى ترجيح القراءة استنادا إلى ما تقدّم، يقول " وإذا اختلفت الرواية وكان أحد الفريقين أضبط، وعضد الضبط والثبت والقياس وموافقة الأشباه، كان الأخذ بما جمع هذين الوصفين أولى وأرجح"[35].

ومن ذلك قوله تعالى:{**بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**}[36]، قرأها ابن عامر بالواو (الغدوة) والباقون بالألف (الغداة)، قال ابن خالويه " فالحجة لمن قرأ بالألف أنّه حذا ألفاظ العرب وما تستعمله في خطابها إذا قالوا جئتك بالغداة والعشي "[37]، وقال أبو علي الفارسي " زعم يونس عن أبي عمرو وهو قوله – وهو القياس – إنّك إذا قلت : لقيته يوما من الأيام غدوة أو بكرة، وأنت تريد المعرفة لم تنون فهذا يقوي قراءة من قرأ " بالغداة والعشي "[38]، أي قراءة لفظ الغداة

بالألف بدلا من قراءتها بالواو.

ومن ذلك قوله تعالى:{ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ** }[39]، قرأها عاصم بفتح الكاف وقرأها الباقون بضم الكاف، " والاختيار عند النحويين الفتح؛ لأنه لا يجيء اسم الفاعل من فعل يفعل بالضم إلا على وزن فعيل، إلاّ الأقل : كقولهم : حامض وفاضل"[40] وقد ذكر صاحب المحيط الكثير مما فيه دلالة السند والرواية في بيان أوجه القراءات التي قرأ بها الأئمة وجعلها حجة لتلك القراءة " وما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الإسكان غلط ليس بشيء إذ هي قراءة السبعة، وهي متواترة، وكفى أنها منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء؛ لأنّه عربي صريح وسامع لغة وإمام في النحو "[41]. فصرح أبو حيان بأنّ أبا عمرو عربي فصيح يعتمد في الرواية على ما سمعه من العرب، إضافة إلى أنّه كان إماما في النحو، و" لم يكن ليقرأ إلا بأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولغة العرب توافقه على ذلك "[42] ؛ بمعنى أنّ أبا عمرو كان يعتمد في قراءته على ما وافق لغة العرب وعلى ما امتّد سنده إلى الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم– ممّا كان يقرأ به " ولم تقتصر لغة العرب على ما نقله أكثر البصريين ولا على ما اختاروه، بل إذا صح النقل وجب المصير إليه "[43]، فلغة العرب أوسع من أن يلمّ بها البصريون أو غيرهم ممن جمع اللّغة .

8.3.أسباب النزول .

احتج أهل هذه الصنعة في غير موضع من مؤلفاتهم لعدد من القراءات بما ورد من أسباب نزول الآيات على النبي – صلى الله عليه وسلم– .

من ذلك قوله تعالى:{ **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** }[44] قرأها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة " غيرُ " برفع الراء على أنّها صفة لموصوف (القاعدين)، وقرأها الباقون بنصب الراء على أنّه مستثنى من القاعدين، قال ابن خالويه" والحجة لمن رفع: أنه جعله من وصف القاعدين والوصف تابع للموصوف، و الحجة لمن نصب : أنه جعل غير استثناء بمعنى إلاّ فأعربها إعراب الاسم بعد إلاّ و خفض بها ما بعدها، ودليله على ذلك أنها نزلت في ابن أم مكتوم الضرير"[45]، ورأى الأزهري أنّ " غير " في الآية منصوبة على الحال[46] .

9.3.كلام العرب .

ويقصد به لغة العرب بمختلف قبائلها التي اشتهرت بالفصاحة، وأشعارها، فتتخذ هذه اللغات والأشعار كأدلة لبيان وجه من أوجه القراءات، ونجد أنّ هذه المادة التي يحتج بها قد هيمنت على كتب الاحتجاج للقراءات القرآنية، وشغلت حيزا كبيرا فيها.

من ذلك قوله تعالى:{ **فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ** }[47] قرأها ابن كثير وأبو عمرو " فرُهنٌ " بغير ألف وقرأها الباقون بألف " فَرِهَانٌ "، قال الأزهري "من قرأ فرُهنٌ أراد أن يفصل بين الرهان في الخيل و بين الرُهن :جمع الرَّهن و قال الفراء : رُهْن جمع الرِّهَان وقال غيره رَهْن ورُهُن (بفتح الراء و ضمها) مثل سَقف وسُقُف ومن قرأ : فَرِهَان فهو جمع رُهُن وأنشد أبو عمرو في الرهن :

بانت سُعادُ وأَمسَى دُونَهَا عَدنٌ وعَلِقَت عِندَهَا مِن قَبلِكَ الرَهنُ

وأخبرني المنذري عن الحسن بن فهم عن ابن سلام عن يونس قال : الرُّهُن والرِّهَان واحد،عربيتان. والرُهن في الرَهن أكثر والرِّهان في الخيل أكثر... وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحي قال الاختيار: رِهَان مثل كَبش وكِبَاش، وحَبل وحِبَال وما أشبههما. قال: ورُهُن قراءة ابن عباس "[48].

ومن ذلك قوله تعالى:{ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** }[49]، قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بسكون الهمزة (دَأْباً) دلالة على أنّه مصدر للفعل دأب، وقرأها عاصم بفتح الهمزة ليدل بقراءته على أنها اسم، قال ابن خالويه" فالحجة لمن أسكن أنه أراد المصدر والحجة لمن فتح أنّه أراد الاسم، ويجوز أن يكون أصله الفتح، فأسكن تخفيفا والعرب تستعمل ذلك فيما كان ثانيه حرفا من حروف الحلق مثل: النّهر والمعز والدأب معناه: المداومة على الشيء، وملازمته والعادة، قال الكميت :

هَل تُبلِغنّكُم المذكّرةُ ال وَجنَاءُ و السَّيرُ مِني الدَّأْبُ

والاختيار السكون؛ لإجماعها عليه في قوله تعالى:{ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ** }[50]..."[51] .

ومن ذلك قوله تعالى:{ **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ** }[52]، قرأها ابن كثير منفردا بياء في الوصل والوقف، وقرأها الباقون بغير ياء في الوصل ولا في الوقف، قال ابن خالويه " وله في إثباتها وجهان أحدهما : أن من العرب من يجري الفعل المعتل مجرى الصحيح، فيقول: لم يأتي زيد وأنشد:

أَلَم يَأتِيكَ و الأَنبَاءُ تَنمِى بِمَا لاَقَت لَبُونُ بَنِي زِيَاد

والاختيار في مثل هذا حذف الياء للجازم "[53].

ومن ذلك قوله تعالى:{ **عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ** }[54]، قرئت بإسكان الدال وفتحها، قال أبو علي" قال أبو زيد : تقول قَدَّرَ القَومُ أَمرَهُم يُقَدِّرُونَهُ قَدَرًا، وهذا قَدْرُ هذا إذا كان مثله بجزم الدال، واحمل على رأسك قَدْرَ ما تطيق، وقَدَرَ الله الرزق يَقدُرُه وروي السكري : يَقدُرُه قَدرًا، وقَدّرتُ الشيء بالشيء، أَقدُرُه قَدرًا وقَدَرتُ على الأمر أَقدِر قُدرَةً

وقُدُورًا وقَدَارَةً، ونسأل الله خير القَدَر وقال أبو الصقر: هذا قَدْرٌ هذا، واحمل قَدْرَ ما تطيق، وقال أبو الحسن : يقال : القَدْرُ والقَدَرُ، وهم يختصمون في القَدْرِ والقَدَرِ.

قال الشاعر من الطويل :

ألا يا لِقوم للنَوائِب و القَدْرِ وللأمرِ يَأتِي المرءُ من حيث لاَ يَدرِي

وتقول : قَدَرتُ عليه الثوب، فأنا أقْدِرُه قَدْرًا، لم لأسمع منه غير ذلك، و خذ منه بقَدْر كذا وقَدَر كذا لغتان "[55].

ومن ذلك قوله تعالى:{ **لَرَءُوفٌ** }[56] قرأها ابن كثير ونافع وعاصم لفعول في كلّ القرآن بإثبات الواو والهمزة، وقرأها الباقون "لرؤف " على وزن لفعُل بطرح الواو وإثبات الهمزة، قال أبو علي" قال أبو زيد رَأَفتُ بالرجل أَرأَفُ بِهِ رَأفَةً ورَآفَةً ورَأَفتُ بِهِ أَرؤُفُ بِهِ كل ذلك من كلام العرب. قال أبو علي: وجه قراءة من قرأ رؤوف أنّ فَعُولا بناءٌ أكثر في كلام العرب من فَعُل، ألا ترى أنّ باب ضروب وشكور أكثر من باب حَذِر، وحَدِث ويَقِظ وإذا كان أكثر على ألسنتهم كان أولى مما هو بغير هذه الصفة ويؤكد ذلك : أنّ هذا البناء قد جاء عليه من الصفات، غير هذا الحرف نحو: غفور وشكور ولا نعلم " فعُلا " فيها . وقال [من الوافر]:

نُطيعُ إِلَهَنا ونُطيعُ ربًّا هو الرَّحمانُ كان بِنا رَءوفًا

ومن قرأ " رؤف" فقد زعموا أنّ ذلك الغالب على أهل الحجاز، قالوا ومنه قول الوليد بن عقبة بن أبي معيط لمعاوية بن أبي سفيان من [الوافر] :

وشَرُّ الطّالِبِينَ فَلا تَكنْهُ يُقاتِل عَمّهُ الرؤفَ الرحيمَا

و قد اتّسع ذلك حتى قاله غيرهم "[57]، فالأمثلة كثيرة ومتعددة في كتب الاحتجاج دلت على أنّ أهل هذا العلم، عمدوا في كثير من المواضع إلى الاستعانة بكلام العرب وأشعارها؛ لإثبات وجه من القراءة أو بيانه، كما بنوا اختيارهم لبعض القراءات على المشهور من كلام العرب، و على الأكثر استعمالا في لغاتهم .

10.3.مقاييس العربيّة

وبها يحتج لقراءة من قراءات الأئمة والملاحظ على هذه المادة أنّ إجراءها كان غالبا على كتب الاحتجاج للقراءات القرآنية.

ومن ذلك قوله تعالى:{ **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ** }[58] قرأها ابن عامر " آصارهم " ممدودة الألف على أنها جمع إصر، وقرأها الباقون إصرهم بالإفراد، قال أبو علي الفارسي " الإِصرُ مصدر يقع على الكثرة مع إفراد لفظه يدلك على ذلك قوله " يضع عنهم إصرهم "، فأضيف وهو مفرد إلى الكثرة ولم يجمع وقال من سورة البقرة " ربنا ولا تحمل علينا إصرا " فالوجه الإفراد،

كما أفرد في غير هذا الموضع، وجمع ابن عامر كأنّه أراد ضروبا من المآثم مختلفة، فجمع لاختلافها، والمصادر قد تجمع إذا اختلفت ضروبها كما تجمع سائر الأجناس، وإذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضربا واحدا كقوله:

هَلْ مِن حُلُوم لِأَقْوامٍ فَتُنذِرَهُم مَا جَرَّبَ النَّاسَ مِن عَضِّي وتَضرِيسِي

فأن يجمع ما يختلف من المآثم أجدر، فجعل إصرا وآصارا بمنزلة عدل وأعدال "[59].

الشاهد في البيت " حُلُوم "، وقد جمعت ومفردها حلم، وقد عمد الفارسي إلى الاستدلال على وجه القراءة بمقاييس العربيّة، فجمع المصدر وإن تعدّدت ضروبه قياسا على نظائره في اللّغة.

ومن ذلك قوله تعالى:{ **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ** }[60] قرأها ابن كثير " كائن " وقرأها الباقون " كأيّن "، قال أبو علي " كنا رأينا قديما في قولهم : كائن وأكثر ما يجيء في الشعر كقول الشاعر:

وكَائِن رَدَدْنَا عَنكُم مِن مُدَجَّجٍ يَجِيءُ أَمَامَ القَومِ يُرِدِي مُقَنَّعَا

وكقوله :

وكَائِن إِليكُم قَادَ مِن رَأسِ فتنةٍ جُنُودًا وَأَمثَالَ الجِبَالِ كَتائِبُهُ

وكائن على وزن كاعن "[61].

بنى أبو علي وجه قراءة ابن كثير على ما جاء في شعر العرب، ووافق وزنه أوزان العربيّة؛ لأنّ كائن على وزن كاعن، فالكاف زائدة (الكاف + أيّ) والنون علم التنوين، والهمزة أصل من الأصول المتبقية من الكلمة.

ومن ذلك قوله تعالى:{ **أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا** }[62] قرأها ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم " أتخذناهم "؛ أي إنّ هذه الهمزة همزة قطع للاستفهام وبدخولها سقطت همزة الوصل من الفعل اتّخذ، وقرأها الباقون بهمزة وصل. قال ابن خالويه:" فالحجة لمن قطع أنّه جعلها ألف الاستفهام، ولمن وصل وجهان أحدهما : أنّه أخبر بالفعل ولم يدخل عليه استفهاما، والثاني أنه طرح ألف الاستفهام لدلالة قوله تعالى:{ **أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ** }[63]، عليها وهذا من كلام العرب قال امرؤ القيس:

نَروحُ مِن الحَيِّ أَم تَبتَكِر وَمَاذَا يَضِيرُكَ لَو تَنتَظِرْ

أراد أتروح فحذف الألف "[64].

ومن ذلك قوله تعالى:{ **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ** }[65] قرأها ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم " خُشّعا " بضم الخاء وتشديد الشين بلا ألف؛ أي بجعلها جمع تكسير لخاشع وقرأها الباقون بفتح الخاء و الألف بعدها " خاشعا "؛ أي إنّه اسم فاعل من الفعل خشع قال الأزهري[66] " من

قرأ خُشّعا وخاشعا فالنصب على الحال، المعنى يخرجون من الأجداث خشعا أبصارهم، فمن جمع فلأنه قدم نعتا للجماعة كقولك : مررت بشباب حسان وجوههم، ومن وحّد فلتقدم النعت على الجماعة، كقولك : مررت بشباب حسن أوجههم قال:

وشَبابٍ حَسَنٍ أوجهُهُم مِن إيادَ بن نزَار بن مُعدِّ

ومن ذلك قوله تعالى: { **كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ** }[67] قرأها نافع وابن عامر بفتح الفاء؛ أي إنّها اسم مفعول من الفعل استنفر، وقرأها الباقون مستنفرة بكسر الفاء؛ أي إنّها اسم فاعل من الفعل استنفر، قال الأزهري[68] " من قرأ مستنفَرة (بفتح الفاء) فمعناه منفَّرة، كأنّ الصياد نفّرها، ومن قرأها مستنفرة (بكسر الفاء) فمعناه نافِرة. يقال نفر واستنفر ونفرته واستنفرته، وأنشد ابن الأعرابي:

ارْبِطْ حِمَارَكَ إنّه مستنفَر فِي إثرِ أَحمِرةٍ عَمَدنَ لِغُرَّبَ

وجاء في توجيه هذه القراءة عن الفارسي قوله: " قال ابن سلاّم: سألت أبا سرّار الغنوي فقلت: " كأنّهم حمر" ماذا ؟ فقال " كأنهم حُمُرٌ مستنفَرة " (بفتح الفاء) طردها قسورة فقلت: إنّما هو " فرت من قسورة " فقال: أفرّت ؟ قلت: نعم. قال: فـ " مستنفِرة " (بكسر الفاء) إذاً "[69]، نلمس من هذا النص أنّ القراءة المختارة، هي" مستنفِرة " بكسر الفاء؛ لأنّ الفعل أُسند للحمر المستنفرة صادر عنها.

4. خاتمة:

لقد تنوّعت مادة الاحتجاج، فكان منها القرآن الكريم وقراءاته، – وخاصة الشّاذة منها– ، ورسم المصحف، واتّفاق القراء، والتفسير، والآثار، والرواية والسند، وأسباب النزول، وكلام العرب وأشعارها، ومقاييس العربيّة. وقد عوّل عليها أصحاب هذا العلم في إنجاز مؤلفاتهم، والملاحظ على هذه المؤلفات التي اتّخذت من الاحتجاج سبيلا لبيان أوجه القراءات القرآنية، أنّه اجتمع فيها علمان هما: علم الرواية الذي اختص بذكر القراءة القرآنية كما سمعت وقرئت متصلة في ذلك بالسند إلى الرسول – صلى الله عليه و سلم –، وعلم الدراية الذي كان همّه الكشف عن أوجه القراءات والاحتجاج لها بما توفرّ لصاحبه من مادة في هذا الميدان.

5.الهوامش:

[1] ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2009،ص18. مقدمة التحقيق .

[2] ابن منظور جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، د ط، بيروت، 1990، ج2، ص226، مادة حج، و ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام هارون، د ط، دار الجيل بيروت، دت، ج2، ص29 .

[3] أبوحيان، البحر المحيط، مطبعة السعادة، د ط، مصر، 1328هـ، ج1، ص269.

[4] الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، د ط، دار الريّان للتراث، القاهرة، 1403هـ، ص112.

[5] مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، دار الدعوة، القاهرة، دت، مادة (ح ج ج)،ص156.

[6] عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، الطبعة الأولى، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، سوريا، 2006، ص 13.

[7] سورة طه، الآية 133.

[8] سورة البينة، الآية 4.

[9] ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، علّق عليه أبو محمد الأسيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2006، ص272.

[10] سورة الجاثية، الآية 35 .

[11] سورة الجاثية، الآية 35 .

[12] ابن أبي مريم، الموضح، ص720.

[13] سورة الأحزاب، الآية 36.

[14] سورة القصص، الآية 68.

[15] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007،ج4، ص177.

[16] سورة العنكبوت، الآية 50.

[17] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج4، ص143.

[18] سورة التوبة، الآية 103.

[19] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج3، ص150.

[20] سورة النمل، الآية 25.

[21] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج4، ص105.

[22] سورة آل عمران، الآية 179.

[23] سورة الأنفال، الآية 37.

[24] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج2، ص329.

[25] سورة النساء، الآية 135.

[26] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج2، ص383.

[27] سورة طه، الآية 63.

[28] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص242.

[29] سورة الأعراف، الآية 201.

[30] الأزهري، معاني القراءات، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص196.

[31] سورة النمل، الآية 22.

[32] الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق كمال يوسف الحوت،، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت ، دت، ج6، ص165.رقم الحديث 3222.

[33] الأزهري، معاني القراءات، ص355.
[34] سورة البقرة، الآية 06.
[35] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج1، ص322.
[36] سورة الأنعام، الآية 52.
[37] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص140.
[38] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج2، ص483.
[39] سورة النمل، الآية 22.
[40] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص270.
[41] أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص 499.
[42] أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص 206.
[43] أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص 39.
[44] سورة النساء، الآية 95.
[45] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص126.
[46] ينظر: الأزهري، معاني القراءات، ص132.
[47] سورة البقرة، الآية 283.
[48] الأزهري، معاني القراءات، ص92.
[49] سورة يوسف، الآية 47.
[50] سورة آل عمران الآية 11.
[51] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص195-196.
[52] سورة يوسف، الآية 90.
[53] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص198.
[54] سورة البقرة، الآية 236.
[55] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج2، ص159.
[56] سورة البقرة، الآية 143.
[57] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج2، ص68-69.
[58] سورة الأعراف، الآية 157.
[59] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج3، ص63-64.
[60] سورة آل عمران، الآية 146.
[61] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج2، ص304-305.
[62] سورة ص، الآية63.
[63] سورة ص، الآية 63.
[64] ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص307.
[65] سورة القمر، الآية 07.
[66] الأزهري، معاني القراءات، ص471.
[67] سورة المدثر، الآية 50.
[68] الأزهري، معاني القراءات، ص514.
[69] أبوعلي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج4، ص487.

6.قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. الأزهري، معاني القراءات، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، 1999.
2. الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق كمال يوسف الحوت، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
3. الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، د ط، دار الريّان للتراث، القاهرة، 1403هـ.
4. ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، علّق عليه أبو محمد الأسيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2006.
5. ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.
6. عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، الطبعة الأولى، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، سوريا، 2006.
7. أبو علي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
8. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، د ط، دار الجيل، بيروت، دت.
9. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، دار الدعوة، القاهرة، دت.
10. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، د ط، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1324 هـ.
11. ابن أبي مريم، الموضح، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.
12. ابن منظور جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، د ط، دار صادر، بيروت، 1990.